

مَدْرَسَةُ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ



دراسة عن كتاب «الأجبية» القبطية (٤)

القس باسيلوس صبحي



إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا فَلَنْ تَفْهَمُوا

دراسة عن كتاب الأجيبة القبطية (٤)

القس الدكتور باسيل يوس صبحي



دراسة عن كتاب «الأجبية القبطية» (٤)

القس الدكتور باسيل يوس صبحي
دكتوراه في العلوم اللاهوتية - جامعة أثينا
باحث بالمركز الثقافي القبطي

تحليل محتوى الكتاب

تناولنا في مقالنا بالعدد السابق، موضوع: تحليل محتوى الكتاب، وبالتحديد المحتويات الثابتة على مرّ العصور، وفي هذه الحلقة نستكمل الموضوع بدراسة تحليلية للمحتويات التي تغيرت مع مرور الأيام لسبب أو لآخر، سواء تغير مكانها بالكتاب، أو أُضيفت إليه مؤخرًا، علمًا بأن كل هذا السرد لا يزال تحت عنوان: دراسة المحتوى تاريخيًا.

ثانيًا. المحتويات التي تغيرت مع مرور الأيام:

أ) العنوان:

ذكرنا في العدد الأول من هذه السلسلة من المقالات، أن عنوان كتاب «الأجبية القبطية»، مر بمرحلة تطور وتغيير على مدار الأيام، حينما عرضنا لعنوان أقدم مخطوط لدينا يحوي دلالةً لصلوات السواعي^(١). واليوم نعرض الموضوع بأكثر تفصيل، فنقول إنه منذ أن نشر العالم البريطاني W. E. Crum الكتابات الحائطية الموجودة على الجدران الأربعة لمكتبة دير القديس الأنبا شنوده بسوهاج^(٢)، والتي ترجع لفترة ما - غير معروفة بالتحديد -

^١ راجع مقالتنا: «دراسة عن كتاب «الأجبية» القبطية (١)»، مجلة مدرسة الإسكندرية، السنة الأولى، العدد الأول، يناير - إبريل ٢٠٠٩، ص ١٣٨ - ١٤١.

^٢ هذه المكتبة كانت تشغل حجرة على يمين الهيكل الرئيسي لكنيسة الدير، ومن خلال موقعها (داخل الهيكل) ومحتوياتها، نفهم أنها كانت المكتبة الطقسية لكتب الدير المستخدمة في العبادة داخل كنيسة الدير، راجع: القس شنوده =

(ولكن بالتأكيد قبل القرنين الـ ١٢-١٣)^(٣). وتلك الكتابات القبطية هي عبارة عن قائمة بأسماء الكتب، وأحياناً عدد النسخ من كل كتاب. حيث كانت تشمل عدداً من مخطوطات (كتب) أسفار العهدين القديم والحديث، والعديد من سير الشهداء والقديسين، والمواعظ ... إلخ^(٤).

منذ أن نُشرت هذه القوائم أيقن العلماء أن كتب العبادة القبطية يومئذ (أي قبل القرنين الـ ١٢-١٣) كانت بصورة غير تلك الصورة التي هي عليها الآن. حيث كانت تُقرأ القراءات الكتابية المستخدمة في العبادة مباشرةً من كتب الأسفار المقدسة، من خلال الاستعانة بدلال أو فهرس يُحدّد بداية الفصل المنتخب للقراءة في كل مناسبة، وكذلك نهايته^(٥).

أي أننا نتحدث عن الفترة السابقة على وضع الكتب الليتورجية في قوالها بالصورة المتعارف عليها الآن. وإن كان هذا الكلام يُقال على الكتب الليتورجية القبطية بصفة عامة، فهذا ينطبق على كتاب «الأجبية» القبطية بصفة خاصة، ذلك الكتاب الذي يحوي مادة كتابية (أي المزامير) بالدرجة الأولى، وبالتالي يحتل المرتبة الثانية (بعد القطمارس) بين أقرانه من الكتب الليتورجية في هذا المضمار. ومن ثم، نستطيع أن نفهم سر عدم وجود كتاب

ماهر إسحق، والدكتور يوحنا نسيم يوسف، *تراث الأدب القبطي*، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، ص ١٠٨-١٠٩.

^٣ حيث توجد كتابات أخرى على نفس الجدران أحدث منها مؤرخة ترجع لفترة القرنين الـ ١٢-١٣.

^٤ W. E. Crum, «Inscriptions from Shenoute's Monastery», *The Journal of Theological Studies*, 5 (1904), pp. 553-569.

^٥ من أشهر وأهم المخطوطات الموجودة حتى الآن والتي تحتوي هذا الدلال، هو المخطوط ١٣ قبطي، بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، وهو يحوي الأناجيل الأربعة باللغة القبطية فقط، مزوداً بمجموعة كبيرة من المنمنمات، وبآخره دلال لقراءات الأحاد بطول السنة القبطية. ومن المعروف أن هذا المخطوط يرجع لسنة ١١٨٠م، وهو من إنتاج الأثينا ميخائيل مطران دمياط (ما بين عامي ١١٥٧-١٢٠٨م)، وقد نشرت عنه أبحاث عديدة بلغات شتى، راجع على سبيل المثال:

George W. Horner, *The Coptic Version of the New Testament in the Northern Dialect Otherwise Called Memphitic and Bohairic*, Oxford, Clarendon Press, 1898, t. I, pp. XLI-XLVI; Jules Leroy, *Les Manuscrits coptes et coptes-arabes illustrés*, Paris, Geuthner, coll. l'Institut français d'archéologie de Beyrouth, n° 96, 1974; Ugo Zanetti, *Les lectionnaires coptes annuels Basse-Égypte*, Université catholique de Louvain, Institut Orientaliste, Editions Peeters [distributeur], 1985; Mahmoud Zibawi, *L'Art Copte en Égypte*, Paris 2000, n° 56; Anne Boud'hors, *Pages chrétiennes d'Égypte, les manuscrits des Coptes*, Bibliothèque nationale de France, Paris 2004, pp. 39-42.

(مخطوط) واحد للأجبية القبطية بالصورة المتعارف عليها الآن قبل فترة القرنين الـ ١٢-١٣^(٦)، إذ كان فيما قبل هذه الفترة فقط دلالاً، مع الأخذ في الاعتبار أن العادة كانت ولا تزال أن الرهبان يحفظون نصوص المزامير عن ظهر قلب، ويرتلونها بصورة شبه مستمرة، فكانوا قديماً لا يحتاجون إلا إلى دلالٍ يُذكّرهم ببداية المزامير وقطع الصلوات المحددة لكل ساعة، لتلافي النسيان أو السهو، وهذا يتفق مع الصورة التي عرضناها لنص صلوات السواعي الواردة بالمخطوط M574 من مكتبة بيربوند مورجان بنيويورك، والتي تعود للقرن التاسع الميلادي^(٧).

وبالتالي لما كُتب الكتاب بالكامل فيما بعد عُثِرَ بأكثر من طريقة، أي أن عنوان الكتاب كان في بدايته بصيغة ما أخذت تتطور حتى وصلت إلينا في طبعة الكتاب للمرة الأولى سنة ١٧٥٠م **οὐρανὸν ἴτε νημερῆς ἀπὸ τοῦ** **νεμ πιεχωρ̄** أي: **كتاب الصلوات النهارية والليلية السبع**، كما سبق وأشرنا قبل ذلك^(٨).

ولكن أُذكّر أننا سبق وأشرنا إلى أن هذا العنوان لا يتفق مع الكثير من المخطوطات التي وصلتنا والتي تحمل عنواناً آخر، مثل: **νημερῆς ἀπὸ τοῦ** **νεμ πιεχωρ̄** أي: **الصلوات النهارية والليلية**، دون تحديد عدد هذه الصلوات. وهذه الصورة للعنوان أدق وأشمل، فهل كتاب «الأجبية القبطية» يشمل سبع صلوات فقط؟

الواقع أن هذا الكتاب يشمل اليوم ثمان صلوات إذا اعتبرنا أن صلاة نصف الليل صلاة واحدة، ويشمل عشر صلوات إذا اعتبرنا أن كل هجعة (خدمة) من

^٦ سبق وذكرنا أن أقدم نسخ مخطوطه لكتاب «الأجبية القبطية» نعرفها للآن لا ترتقي لفترة ما قبل القرنين الـ ١٢-١٣ بكثير، راجع مقالنا: «دراسة عن كتاب «الأجبية» القبطية (٢)»، مجلة مدرسة الإسكندرية، السنة الأولى، العدد الثاني، مايو- أغسطس ٢٠٠٩، ص ١١٥-١١٨.

^٧ راجع المقال السابق الذكر، ص ١٠٨-١١١.

^٨ راجع مقالنا: «دراسة عن كتاب «الأجبية» القبطية (١)»، مجلة مدرسة الإسكندرية، السنة الأولى، العدد الأول، يناير- إبريل ٢٠٠٩، ص ١٤٠.

هجعت صلاة نصف الليل صلاة خاصة. أي أن في كلتا الحالتين الكتاب لا يحوي سبع صلوات فقط، كما هو مُسجل بعنوانه المطبوع عليه الآن. وبالتالي يجدر بنا السؤال: لماذا إذن طبعه الأسقف روفائيل طوخي سنة ١٧٥٠م بروما بهذا الاسم ما دام الكتاب يحوي بالفعل أكثر من سبع صلوات؟

والرد يأتي من دراسة محتوى الكتاب نفسه، حيث إننا نجد أن الأسقف طوخي طبع الكتاب محتويًا صلوات: باكر والثالثة والسادسة والتاسعة والغروب والنوم ونصف الليل فقط. أي أنه نشر كتابًا يحوي سبع صلوات فعلاً (إذا اعتبرنا صلاة نصف الليل صلاة واحدة)، ولم ينشر في هذه الطبعة صلاة الستار، بإعتبار أن تلك الصلاة لم ترد بالمخطوط الذي نشره (٤٠ قبطي، بالمكتبة الرسولية الفاتيكانية)، كما أنها صلاة خاصة بالرهبان، وبدأت كطقس رهباني بيرية القديس أنبا مقار بحسب شهادة بن كبر (†) (١٣٢٤م)^(٩) ...

وبالتالي العنوان عندما طبعة الأسقف طوخي مُطابق لمحتوى الكتاب، ولكن لاحقاً طبع الكتاب عدد من الناشرين (وأغلبهم من الرهبان مثل: القمص عبد المسيح صليب المسعودي البرموسي، والقمص عبد المسيح سليمان السرياني)، فأضافوا عليه صلاة الستار، دون تعديل في العنوان، فصار محتوى الكتاب لا يتفق مع عنوانه.

ب) في الصلوات الافتتاحية:

ذكرنا في العدد السابق أن تلك الصلوات الافتتاحية كانت ولا تزال تتكون من العناصر التالية: (١) البسمة والمجدة، (٢) صلاة الشكر، (٣) المزمور الخمسين.

ولكن الصلوات الافتتاحية بالكتاب المطبوع بين أيدينا اليوم تشمل عنصر آخر وهو عبارة: «يا رب ارحم، يا رب ارحم، يا رب بارك. آمين». فهي عبارة

^٩ راجع: الفصل الخاص بشهادة الكُتاب الأقباط عن صلوات السواعي في القرون الوسطى.

وردت في بعض المخطوطات وليس كلها، ولكن إذ وردت في الطبعة الأولى لهذا الكتاب (طبعة الأسقف روفائيل طوخي، روما ١٧٥٠م)^(١٠)، ثبتت في الكتاب إلى الأبد، إذ دأب بعض النُساخ المتأخرين على نسخ كتاب «الأجبية القبطية» من تلك الطبعة.

والدليل يأتينا من عمل الناسخ المشهور إبراهيم بن سمعان^(١١)، الذي أضاف الجزء الأخير من المخطوط ٦٨٩ مسلسل/١٢٣ طقس بالمكتبة البطريركية القبطية بالقاهرة، (وهذا الجزء يحوي فصول الأناجيل)، كما أضاف أو عدل بعض الكلمات في المخطوط، لكي يصير المخطوط بهذا التعديل صالحاً للاستخدام الليتورجي وقتها^(١٢). والملاحظ لتلك الإضافات والتعديلات بدقة، يجد معظمها يتماشى مع طبعة الأسقف روفائيل طوخي.

ج) في الجزء الرئيس من كل صلاة:

ذكرنا في العدد السابق أن الجزء الرئيس من كل صلاة كان وما زال يتكون من العناصر التالية: (١) المزامير، (٢) الطروبريات (القطع)، (٣) عبارة كيريا ليصون، (٤) قطعة: «قدوس قدوس قدوس». وبالتالي فثمة بعض الإضافات وردت مع الزمن في نص الكتاب، سوف نعرضها وندرسها في السطور الآتية:

١. العبارة الافتتاحية:

^{١٠} مما هو جدير بالذكر أن هذه الطبعة ختمت هذه العبارة بكلمة «الليلويا»، راجع الطبعة المذكورة، ص ٥.

^{١١} إبراهيم بن سمعان: ناسخ وفنان كنسي مشهور، كان شقيقاً للأُم مريم رئيسة دير البنات (الراهبات) بحارة الروم، عاش في غضون القرن الثامن عشر. وهو غالباً غير إبراهيم أبو طيل ابن سمعان الخواتكي الناسخ، راجع: Magdi Guirguis, *An Armenian Artist in Ottoman Egypt*, the American University in Cairo Press, Cairo- New York 2008, pp. 90- 92.

- مجدي جرجس، يوحنا الأرمني وأيقوناته القبطية فنان في مصر العثمانية، المجلس الأعلى للثقافة، ط. ١، ٢٠٠٨، ص ١٠٩-١١٥.

^{١٢} راجع مقالتنا: «دراسة عن كتاب «الأجبية» القبطية (٢)»، مجلة مدرسة الإسكندرية، السنة الأولى، العدد الثاني، مايو- أغسطس ٢٠٠٩، ص ١١٧-١١٨.

أي مقدمة كل صلاة، أو عبارة « Πβοικ παιναν Ὁ Δαλληλοια » أي « يارب ارحم (٣) الليلويا »، هي عبارة لم ترد في أي مخطوط اطلّعنا عليه، ولعلها كانت من التقاليد الشفوية المتوارثة والمحفوظة، التي يستلمها الخلف عن السلف. والدليل على ذلك أنها غير مكتوبة حتى اليوم في العدد الأكثر من الطبعات، ومع ذلك يتلوها الكل في صلواتهم بانتظام.

٢. فصل الإنجيل:

الفصول المختارة من الأناجيل بوضعها الحالي هي فصول مضافة مؤخراً نوعاً ما. ولأجل الأمانة العلمية وللتحديد أكثر، نقول إن بعض المخطوطات كان يرد بها فصل للإنجيل في ساعة واحدة أو أكثر من ساعة، ولكن لا توجد مخطوطة واحدة قديمة كانت تشمل فصلاً من الإنجيل في كل ساعة، كما هو الحال في الكتب المطبوعة الآن.

وعلى سبيل المثال: المخطوط ١٠٧ عربي، بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس (من القرن الرابع عشر)، يحوي فصلاً من الإنجيل في صلواتي باكر والساعة السادسة فقط، والآيات الواردة في كليهما هي من بشارة القديس متى، وبالتحديد في صلاة باكر: متى ٦: ٣٤: ٧: ١٢ (الورقة ١٦ ج - ١٧ ظ)، وفي صلاة الساعة السادسة متى ٥: ١: ١٢ (الورقة ٤٦ ظ - ٤٧ ج).

ولكن الشيء الملفت للنظر أن الفصل الإنجيلي في صلاة باكر لم يأت بعد المزامير مباشرة، ولكنه جاء بعد القطع^(١٣)، وقبل قطعة: «تسبيحة الملائكة»، والتي تبدأ عبارة: «المجد لله في الأعالي...». أما في صلاة الساعة السادسة فقد جاء الفصل الإنجيلي بعد المزامير وبعد عبارة: «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» التي تُتلى ثلاث مرات.

أما فصول الأناجيل بصورتها الحالية، فأتت للمرة الأولى من الطبعة الأولى لكتاب «الأجبية القبطية» التي أنجزها الأسقف رفائيل طوخي في روما سنة

^{١٣} جدير بالذكر أن قطع صلاة باكر جاءت في هذا المخطوط مختلفة عن باقي المخطوطات، حيث إنه جاء سبع قطع، ترتل قطعة واحدة فقط منها في كل يوم من أيام الأسبوع السبعة.

١٧٥٠م. وعلى الرغم من أن الأسقف رفائيل، أعتد على المخطوط ٤٠ قبطي بالمكتبة الرسولية بالفاتيكان، كما سبق وأشرنا أكثر من مرة، إلا أنه أضاف وعدل عند الطبع بعض الأمور، لعلها كانت هذه الأشياء من بعض المخطوطات المتنوعة التي تحتفظ بها المكتبة المذكورة، والدليل على ذلك أن بعض الصلوات أورد بها أكثر من فصل إنجيل، كما أن الطبقات التالية لهذا الكتاب حوت فصلاً إنجيلياً في بعض الصلوات دون سواها^(١٤). وفيما يلي ثبت بفصول الأناجيل الواردة بطبعة الأسقف طوخي:

أ. صلاة باكر: ١. ١: ١٠ - ١٧.

٢. مر ١. ١: ٣^(١٥). (ص ٦٩ - ٧٣).

ب. صلاة الساعة الثالثة: يو ١٤: ٢ - ٣٠، ١٥: ١ - ٤ (ص ١٢٩ - ١٣٢).

ج. صلاة الساعة السادسة: مت ٥: ١ - ١٦ (ص ١٧٠ - ١٧٤).

د. صلاة الساعة التاسعة: لو ٩: ١٠ - ١٧ (ص ٢١٠ - ٢١٣).

هـ. صلاة الغروب: ١. مر ١: ٢٩ - ٣٤

٢. لو ٤: ٣٨ - ٤١ (ص ٢٤٤ - ٢٤٧).

و. صلاة النوم: ١. لو ٢: ٢٥ - ٣٢.

٢. مت ٢٤: ٤٥ - ٥١.

٣. لو ٢١: ٣٤ - ٣٨ (ص ٢٨٢ - ٢٨٨).

ز. صلاة الستار: ١. يو ٦: ١٦ - ٢٠.

٢. لو ٢١: ٣٤ - ٣٨ (ص ٣٠٩).

ح. صلاة نصف الليل:

^{١٤} هذه الظاهرة تظهر أكثر في الساعات الكبرى، حيث لا يوجد فصل إنجيلي في صلاة باكر بطبعة ما، ولكن تحوي إنجيلين بصلاتي الغروب والنوم. بينما طبعة أخرى تشمل إنجيل باكر، ولا تشمل إنجيلين بصلاتي الغروب والنوم.
^{١٥} من الطرائف التي صادفتني عند إعداد هذا البحث، أن أحدهم سألني يوماً: هل توصلت من خلال بحثك هذا للسبب الحقيقي وراء عدم وجود فصل من الإنجيل بحسب إشارة مار مرقس بكتاب «الأجبية القبطية»؟، فلعل هذا الشاهد يروي ظمناً السائل، وأضيف أن فصل إنجيل الغروب في بعض الطبقات (مثل طبعة الراهب القمص عبد المسيح سليمان السرياني، سنة ١٦٧١ش - ١٩٥٥م) مكتوب في بدايته: «الإنجيل من معلمنا مرقس»، مع أن الواقع أنه نفس نص لوقا ٤: ٣٨ - ٤١.

١. الخدمة الأولى: مت ٢٥: ١ - ١٣ (ص ٣٤٧ - ٣٤٩).
٢. الخدمة الثانية: لو ٧: ٣٦ - ٥٠ (ص ٣٥٣ - ٣٥٨).
٣. الخدمة الثالثة: لو ١٢: ٣٢ - ٤٦ (ص ٣٦١ - ٣٦٦).

من هذا الثبت نرى أنه حتى الفصول الإنجيلية الواردة بطبعة الأسقف طوخي، قد تتفق مع بعض المخطوطات (مثل: فصل إنجيل الساعة السادسة الوارد بالمخطوط ١٠٧ عربي بالمكتبة الوطنية الفرنسية، بباريس)، بينما لا تتطابق مع الكتاب المطبوع بين أيدينا الآن.

٣. القطع «الطروباريات»:

تحدثنا في العدد السابق من هذه السلسلة، عن موضوع القطع بما فيه الكفاية. وبقي لنا أن نذكر التغيرات التي طرأت على هذه القطع. فمن المعروف جلياً أن بعض الطبوعات الأولى لكتاب «الأجبية القبطية» لا تشمل قطعاً في بعض الصلوات، مثل: طبعة القمص جرجس الأنطوني النقادي، سنة ١٦٢٩ش (١٢/١٩١٣م)^(١٦) التي لا تشمل قطع في صلوات باكر والغروب والنوم. وطبعة الأرشيدياكون حبيب جرجس^(١٧) التي لا تشمل قطعاً في صلواتي باكر والنوم.

كما أن هناك ثمة تغير آخر طرأ على نصوص بعض الطروباريات، مثل: ما حدث في بداية الطروباريات «القطعة» الخامسة من قطع صلاة الساعة السادسة، التي ترد في المخطوطات القبطية الأقدم هكذا: «**Πενταωρα**»

^{١٦} عثرت على نسخة من هذه الطبعة الفريدة، في المكتبة الخاصة لأستاذنا المتنيح طيب الذكر د. وهيب كامل جورجي، أستاذ العهد القديم وجغرافية الكتاب المقدس بالكلية الإكليريكية بالقاهرة سابقاً، فروحه الطاهرة كل الشكر والعرفان.

^{١٧} طبع المتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس صلوات السواعي كاملة ضمن كتاب «روح التضمرات في العبادة والصلوات»، حيث احتلت القسم السابع من هذا الكتاب، وبالتحديد في الصفحات ٢٥٩ - ٣٩٧، وذلك حسب الطبعة التي درسناها، وهي الطبعة الرابعة، سنة ١٩٢٧م.

«*Ντεκμορφη Παττακο ὡ πιάσαθος...*» وبالعربية: «لصورتك الطاهرة نسجد أيها الصالح...»^(١٨).

ويتفق معهما التقليد البيزنطي، إذ يرد نفس النص في الطروبارية الرابعة من طروباريات صلاة الساعة السادسة، باللغة اليونانية هكذا:

Την ἄχραντον εἰκόνα σου προσκυνούμεν...^(١٩).

بينما ترد هذه العبارة في الطبقات الحديثة لكتاب «الأجبية القبطية» (منذ سنة ١٩٢٧م)، هكذا: «نسجد لشخصك غير الفاسد أيها المسيح إلها...». أي أن التغيير جاء في كلمة «شخص» بدل «أيقونة»، حيث إنه من المعروف أن هذه الطروبارية كُتبت يونانياً سنة ٩٤٢م، بمناسبة استرداد الإمبراطور البيزنطي رومانوس الأول، الملقب بـ «لاكابينوس» (٩٢٠ - ٩٤٤م)، للمندبل المقدس من يد ملوك العرب بالرها، فأقاموا له بالقسطنطينية تذكاراً مجيداً وعينوا له يوم ١٦ أغسطس (آب) من كل عام عيداً للاحتفاء به^(٢٠).

٤. تغيير مكان قطعة «قدوس الله»:

قطعة «قدوس الله» التي تُعرف باسم «الثلاث تقديسات» *Trisagion*، وبالقبطية *Πιτρισ ἄγιος* وبالיוونانية *Tò Τρισάγιον*. وهي قطعة ليتورجية قديمة دخلت للعبادة الكنسية في عهد بروكلس رئيس أساقفة القسطنطينية (٤٣٤ - ٤٤٦م)، ولكنها بالتأكيد أقدم من هذا العهد^(٢١).

^{١٨} راجع المخطوطات: ١٢٩، ١٣٠ طقس الورقة ٩٣ ج- ظ بدير أنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر؛ ٦٨٩ مسلسل ١٢٣/ طقس بمكتبة الطبريكية القبطية بالقاهرة.

^{١٩} كتاب السواعي الكبيرة *Tò Ὡρολόγιον τὸ Μέγα*، الطبعة الثالثة، أثينا ١٩٨٧م، ص ٥٠١ (باللغة اليونانية).

^{٢٠} Hans-Gförg Beck, *Kirche und theologische literature im Byzantinischen Reich, München*, 1959, p. 192; J. Parisot, «Abgar», *Dictionnaire de Theologie Catholique*, tome I, Paris 1935, col. 67-73; Fr. Tournebize, «Abgar V Oukhama, Le Noir», *Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastiques*, tome I, Paris 1912, col. 114-115; H. Leclercq, «Abgar», *Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie*, tome I, Paris 1907, col. 87-97; Duval, *Histoire d'Edesse*, p. 29.

^{٢١} O. H. E. Khs. Burmester, «The Canonical Hours of the Coptic Church», *Orientalia Christiana Periodica*, vol. 2, Roma (1936), p. 90; Apostolos D. Karpozilos, «A Coptic

ترد هذه القطعة الآن في الكتاب المطبوع بعد الطروبريات «القطع»، وقبل الـ «كيرالييصون» في بعض الصلوات دون سواها. لكن قديماً - كما تُفيدنا المخطوطات^(٢٢) - كان مكانها في وسط الطروبريات في صلوات الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة، وهي الصلوات التي تشمل ست طروبريات، تلك التي تُعرف اصطلاحاً باسم «الساعات الصغرى»^(٢٣).

وبالتحديد كانت تُصلى بعد القطعة الثالثة وقبل القطعة الرابعة، أي أنها كانت تفصل بين كل وحدة من وحدات الطروبريات (التي تتكون من ثلاث قطع، اثنتين منها خشوعيتان والثالثة ثيوطوكية، كما سبق وشرحنا بالتفصيل في مقال العدد السابق).

والطريف أن الطبقات القديمة لكتاب «الأجبية القبطية»، قد سجلت هذه العادة القديمة بطريقة غير مباشرة، على الرغم من أنها أوردت قطعة «قدوس الله» في مكانها الحالي. فمثلاً في طبعة الراهب القمص عبد المسيح سليمان السرياني (١٩٥٥م)، يقول بعد القطعة الثالثة: «وأيضاً يقول»، مقتطفاً العبارة السابقة عليها والتي كانت تشير لتلاوة قطعة «قدوس الله»، في هذا المكان.

فالعبارة ترد بالعديد من المخطوطات بعد القطعة الثالثة وقبل الرابعة هكذا: «ثم تقول قدوس الله بكمالها وأبانا الذي في السموات. ثم تقول أيها الملك السماوي...»^(٢٤).

Trisagion from Egypt», *Orientalia Christiana Periodica*, vol. 39, part II, Roma (1973), pp. 454-460.

^{٢٢} على سبيل المثال: راجع المخطوطات ١٢٩، ١٣٠ طقس بدير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر؛ ١٠٧ عربي بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس.

^{٢٣} الساعات الصغرى: أي الساعات التي كان يصليها الراهب منفرداً في قلايته كجهاد شخصي. بينما الصلوات الأخرى والتي تُعرف اصطلاحاً بالصلوات الكبرى هي تلك الصلوات التي كانت تُصلى في المجمع ووصف طقسها وعددها القديس يوحنا كاسيان، راجع:

John Cassien, *Institutions Cénobitiques*, Texte Latin Revu, Introduction, Traduction et Notes, Par Jean-Claude Guy, s. j., Sources Chrétiennes, tome 109, 2ème Ed., Paris 2001.

^{٢٤} راجع على سبيل المثال: المخطوط ١٠٧ عربي بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، الورقات ٣٥ ج - ظ، ٤٨ ظ، ٥٩ ج؛ والمخطوطتان ١٢٩، ١٣٠ طقس، بدير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر.

ومن هذا العرض، نكون قد تعرفنا إلى عنصر جديد من عناصر الفرق بين صلوات السواعي الكبرى والسواعي الصغرى، فالسواعي الصغرى فقط هي التي تأتي فيها قطعة «قدوس الله» حائلة بين مجموعتين من الطروباريات (القطع) كما شرحنا، بينما مكان هذه القطعة في صلوات السواعي الكبرى - ذات المجموعة الواحدة من الطروباريات - يأتي بعد «الذكصولوجية الكبرى»^(٢٥)، تلك الذكصولوجية التي تأتي بعد الطروباريات.

د) الصلوات الختامية:

ذكرنا في العدد السابق أن تلك الصلوات الختامية كانت ومازالت تتكون من العناصر التالية: (١) التحليل، (٢) صلاة ختام كل الصلوات، كما ذكرنا أن تلك الصلاة اختلفت من مخطوط لآخر. وفيما يلي نلقي الضوء على بعض التغيرات التي طرأت على الصلوات الختامية في كتاب «الأجبية القبطية».

١. التحاليل:

نصوص التحاليل في الكثير من الصلوات ترد في المخطوطات مختلفة عمّا جاء بالكتاب المطبوع. فعلى سبيل المثال تحليل صلاة النوم في المخطوطات، هو ذلك التحليل الذي يبدأ بعبارة: «السيد الرب يسوع المسيح الهنا اعطنا راحة في نومنا...»، وهو التحليل المستخدم في الكتب المطبوعة حديثاً كتحليل لصلاة الستار. علماً بأن هذا التحليل هو صلاة منسوبة للقديس ساويروس البطريك الأنطاكي (٤٥٩ - ٥٣٨م)، كما تُفيدنا بعض المخطوطات القبطية القديمة^(٢٦).

^{٢٥} الذكصولوجية الكبرى: أو ما تُعرف باللغة اليونانية باسم Μεγαλη Δοξολογια، وهي ما تقابل في الطقس الإسكندري القبطي قطعتي: «سبحة الملائكة» بصلاة باكر، و«تفضل يا رب أن تحفظنا...» في صلاة النوم، حيث أنهما كانتا في الأصل قطعة واحدة، وقسمت (في الطقس القبطي فقط) إلى قسمين، ووردت بنص ساعتين من الساعات الكبرى، كما يوجد بالطقس البيزنطي ما يُعرف باسم «الذكصولوجية الصغرى»، وهي مختصر للقطعتين السابق ذكرهما.

^{٢٦} راجع على سبيل المثال: المخطوط ٤ قبطي، بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، الورقة ٤٥٤ ط. (راجع صورة هذه الورقة في نهاية هذا المقال)، راجع:

L. Delaporte, *Catalogue Sommaire des Manuscrits Coptes de la Bibliothèque Nationale de Paris*, 1er Partie Manuscrits Bohairiques, Paris 1912, p. 5.

كذلك راجع ما كتبناه عن مؤلف هذا التحليل بالمقالة السابقة لنا من هذه السلسلة بالمجلة (السنة الأولى/العدد الثالث) ص

أما التحليل الحالي لصلاة النوم، والذي يبدأ بعبارة: «يارب جميع ما أخطأنا به إليك في هذا اليوم...»، فهو يأتينا من تقليد أحدث، حُفظ بعدد من المخطوطات يعود أقدمها للقرن السادس عشر الميلادي^(٢٧)، وطُبِع لأول مرة في طبعة الأسقف روفائيل طوخي لكتاب صلوات السواعي القبطية سنة ١٧٥٠م^(٢٨).

٢. قطعة «ارحمنا يا الله ثم ارحمنا»:

ذكرنا في العدد السابق أن الصلاة الختامية وردت بالمخطوطات مختصرة ومتنوعة، ومن ثم فهي مختلفة عما جاء بالكتاب الحالي. أما الصلاة الموجودة بالكتاب الحالي والتي تبدأ بعبارة: «ارحمنا يا الله ثم ارحمنا، يا من في كل وقت وكل ساعة...»، فيخبرنا عنها ناسخ مخطوط من القرن الثالث عشر الميلادي، أنها صلاة من أصل بيزنطي^(٢٩)، وبالفعل فنصها لا يزال محفوظاً ومستخدماً في صلاة نصف الليل بحسب الطقس البيزنطي^(٣٠).

خاتمة لا بد منها:

وقبل أن نختم هذه النقطة لا بد من أن نُسجِّل ملاحظة هامة وهي أنه قد يخرج البعض من هذه النقطة في بحثنا هذا بنتيجة مفادها: أنّ الكثير من

^{٢٧} بالتحديد أقدم ما توصلنا إليه من المخطوطات التي تقدمه كتليل لصلاة النوم، كانا مخطوطين من المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، يحويان صلوات السواعي البيزنطية، وهما: المخطوط ١١١ عربي، (الورقة ٨٩ ظ- ٩١ ج)، يعود للقرن السادس عشر الميلادي، ومصدره سوريا؛ والمخطوط ١١٧ عربي، (الورقة ٢٨٧ ج)، يعود لسنة ٧٠٨٠ لآدم [أي سنة ١٥٧٢ م.]، ومصدره سوريا أيضاً، راجع:

Gerard Troupeau, *Catalogue des Manuscrits Arabes, Premiere Partie, Manuscrits Chretiens*, tome I, Paris 1972, pp. 83-84, 87-88.

أما المخطوط الثالث فهو المخطوط ٢ عربي بمكتبة دير العذراء الشهير بدير إيفيرون بالجبل المقدس «أثوس» بشمال اليونان، (الورقة ١٣٦ ظ- ١٣٧ ج)، وهو مؤرخ بسنة ١٥٩٣م ومصدره مدينة بيت لحم الفلسطينية. وبهذه المناسبة أشكر قدس الراهب برونزوموس أمين مكتبة الدير المذكور، على محبته وتعاونه معي أثناء فترة إقامتي وبحثي بمكتبة هذا الدير.

^{٢٨} علماً بأن الأسقف روفائيل طوخي طبع كلا التحليلين، راجع الطبعة المذكورة، ص ٣٠١-٣٠٣.

^{٢٩} راجع المخطوط ٦٨٩ مسلسل / ١٢٣ طقس بمكتبة البطريركية القبطية بالقاهرة، الورقة ٦٠ ج.

^{٣٠} كتاب السواعي الكبيرة *Tò Ὁρολόγιον τὸ Μέγα*، ص ٣٠-٣١.

نصوص صلوات كتاب «الأجبية القبطية» مستوحاه أو مقتبسة من نصوص صلوات بيزنطية، وهو فرض يحتاج لكثير من الإثباتات لدعمه، فقد يكون العكس هو الصحيح، ولو أن هذا الرأي يحتاج هو الآخر لدعم ليس بقليل؛ فالحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان من العلماء، أن بعض القطع الليتورجية القديمة المستخدمة في صلوات الكنيسة البيزنطية، هي من إنتاج معلمي المدرسة الليتورجية الإسكندرية، أو آباء الصحاري المصرية. فلا يستطيع أحد أن ينكر أن آباء البراري المصرية كانوا هامات وأعمدة، ومنارت مُرشدة، بل ودعائم مُثبتة لكل طالبٍ لخلاص نفسه وقاصداً سائلاً عن هذا باهتمام ووجد^(٣١). فقد سجل هؤلاء الطلاب بعض تهديدات قلب الآباء العظام، التي تفوهوا بها في لحظات انسحاق صادقة وخشوع أمام الحضرة الإلهية، وحفظوها في قلوبهم ثم نقلوها لنا بأمانة، كذخيرة حيّة وكنوز لا يستهان بها.

ومن هذه القطع على سبيل المثال لا الحصر: قطعة «قدوس قدوس قدوس» التي تتضمن قطعة «نشيد الظفر» البيزنطي^(٣٢)، وقطعتي «تسبحة الملائكة» بصلاة باكر، و«تفضل يا رب أن تحفظنا...» في صلاة النوم، اللتين تعرفان في الطقس البيزنطي باسم «الذكصولوجية الكبرى»، تلك القطعة المعروفة في الكنائس التقليدية الشرقية والغربية، والتي ظهرت للمرة الأولى في مخطوط إسكندري من القرن الرابع الميلادي^(٣٣).

فمن ذا الذي بعد هذا يستطيع أن يجزم بأن نصوص الطقس القبطي بصفة عامة وكتاب «الأجبية القبطية» بصفة خاصة، كانت تابعةً للطقس البيزنطي، ناقلةً عنه، لإثبات صحة إيمان آباء الكنيسة القبطية وصدق معتقدتهم، خصوصاً بعد أحداث المجمع الخليدونى^(٣٤).

³¹ Yves Courtonne, *Saint Basile Lettres*, tome II, Paris 1966, pp. 10- 11; tome, III, pp. 185- 186.

³² راجع المقالة السابقة لنا من هذه السلسلة، ص ١٦٩.

³³ Chevetogne, *La prière des Heures des Églises de rite byzantin*, 1975, p. 191.

³⁴ تبنى هذا الرأي العالم المشهور Burmester، ونقل عنه البعض مكررين نفس كلامه، راجع:

فإن كان بعض الآباء الأقباط قد انتخبوا أو استحسنوا بعض نصوص الصلوات والقطع البيزنطية وأضافوها لصلواتهم، فقد يكونوا قد فعلوا هذا من باب أن هناك أصلاً ومصدرًا مشتركًا لتلك النصوص أو تلك، أو قل إنه من باب رد الشيء لأصله.

يُتبع

ΥΝΣ

ΘΕΙΝΕΣ ΠΡΟΣΦΗΤΗΣ· Π
ΟΥΝΙΑΓΙΑΝ ΚΑΘΟΛΙΚΗΝ ΚΑΙ
ΠΟΣΤΟΛΙΚΗΝ ΕΚΚΛΗΣΙΑ·
ΤΕΙΝΕΡΟΙΟ ΛΟΓΙΣΜΟΥ
ΩΙΣΝΟΥΩΤ· ΕΠΧΩΕ
ΒΟΛΥΤΕΙΝΕΝΟΒΙ· ΤΕ
ΧΟΥΤΙ· ΑΤΕΝΙΟΥ· ΤΑΝ
ΤΑΣΙΕΝΤΕΙΡΕΧΙΩΒ
ΝΕΝΙΩΝ· ΗΝΤΕΙΝΕΝΕΣ
ΕΘΙΝΟΥ· ΑΙΝΗ·

ΟΥΠΡΟΣΕΥΧΗΤΕΝΙ ΠΑΤΡΙΑΡΧΕΘΟΥΑΒΣΕ
ΤΕΡΕΡΕΠΙΛΟΝΑ· ΧΕΝΑΝΑΡΕΝΙ ΠΑΤΕΡΝΚΩ

ΙΟΣΙΝΕ· ΠΧΕ· ΠΑΝΟΥΤ· ΜΟΙ
ΜΗΘ· ΕΝ ΠΑΧΙΝΕ· ΜΚΟΤ
ΠΟ· ΣΑΝΑΠΛΥ· ΣΙ· ΣΙ· ΓΕ· Π
ΣΩΝΑ· ΟΥ· Ο· ΓΑ· ΡΕ· Ε· ΡΟ· Μ
ΒΟΛΕ· Α· Π· Χ· Α· Κ· Ι· Ε· Τ· Ο· Ν· Χ· Κ· Α· Π
Η· Τ· Ε· Φ· Η· Ο· Β· Ι· Α· Ρ· Ο· Υ· Λ· Ο
Χ· Ο· Τ· Η· Χ· Ε· Μ· Ζ· Ο· Ρ· Ι· Ν· Η· Τ· Ε·
Η· Π· Λ· Θ· Ο· Σ·

Ο· Τ· Ο· Ζ· Ω· Δ· Ε· Μ· Π· Χ· Ρ· Ω· Μ· Η· Ε·
Π· Σ· Ω· Μ· Α· · Κ· Ω· Ρ· Υ· Ν· Η· Χ· Η·
Τ· Ω· Ο· Τ· Η· Ε· Π· Ρ· Ω· Μ· Η· Τ· Ε· Τ·
Σ· Α· Ρ· Ζ· Η· Μ· Α· Ι· Φ· Η· Ο· Β· Ι· Α· Ρ· Σ·
Η· Κ· Ο· Τ· Η· Χ· Ε· Μ· Π· Λ· Θ· Ο· Σ· Η· Μ·

الورقة ٤٥٤ ظ من المخطوط ٤ قبطي، بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس